

الشاعر نصير الدين الحمّامي: حياته وما بقي من شعره

Nasir Al-Din Al-Hamamy: His Life and What Remains of his Poetry

راند عبد الرحيم

Raed Abdel-Rahim

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

بريد الكتروني: rarrabeh@najah.edu

تاريخ التسليم: (٢٠١٢/٦/١١)، تاريخ القبول: (٢٠١٣/١/٢٢)

ملخص

نصير الدين الحمّامي من الشعراء أرباب الحرف الذين ذاع صيتهم في العصر المملوكي الأول، فقد تناقلت كتب الأدب والتاريخ والتراجم والنقد أخباره، وأوردت أشعاره، وأثنت عليه، ووصفته بصفات تدل على شاعريته، وظرافته، وتفوقه في فن الشعر، وارتبطت أخباره بأخبار الشعراء الحرفيين في عصره، أمثال سراج الدين الوراق، وأبي الحسين الجزار. وعلى الرغم من ذلك كله لم يلتفت إليه الباحثون، فيفردوا له دراسة مستقلة تجمع شعره وتدرسه، أو تلمح أطراف حياته. وكل ما هنالك دراسات تناولت بعض أشعاره في سياق تناول ظواهر شعرية وأسلوبية في العصر المملوكي الأول، مثل الشعر الاجتماعي، أو مذهب التورية، الذي كان الحمّامي أحد رواده. ومن هنا جاء هذا البحث ل: (١) يجمع ما تناثر من أخبار حياته بجوانبها المختلفة. (٢) يستقري أشعاره من بطون المصادر التي تناولت شعر العصر المملوكي الأول وأدبه، وليقدم ما بقي منها محفوظاً في بطون تلك المصادر. وقد جاء عنوان البحث يحمل إشارة إلى هذين الهدفين "نصير الدين الحمّامي حياته وما بقي من شعره". أما منهج البحث، فهو استقرائي، وصفي، فقد استقرأ أخبار الشاعر وشعره من مظانها المختلفة، ثم أطر هذه الأخبار والأشعار في قسمين: الأول: تناول حياته، فكانت موزعة على العناوين الآتية: اسمه ولقبه، ومولده، وصفاته، وعمله، وثقافته، وعلاقاته، وشعره ومكانته الشعرية، ووفاته. الثاني: أثبت ما بقي من شعره، واتبع في ذلك الآتي: أ- رتب شعره على الحروف الهجائية، وعرض القوافي حسب حركتها الأقوى فالأضعف: الكسرة، فالضمة، فالفتحة، فالسكون. ب- بين اختلافات الرواة في شعر الحمّامي على مستوى المفردة، والعبارة، والشطر، والبيت، وهكذا. واعتمد الرواية التي ذكرتها كتب التاريخ قريبة العهد بالشاعر، أو تلك التي نقل أصحابها الشعر من أفواه من تلمذوا للشاعر، ورووا شعره، وبخاصة كتب الصفدي: الوافي بالوفيات، وأعيان العصر وأعوان النصر. ج- مهّد غير راو بذكر الحادثة أو المناسبة التي قيل فيها قسم من شعر الحمّامي، وعبر بعضهم عن رأيه في ذلك الشعر. من هنا حرص البحث على إثبات ما قالوه، ربطاً للأشعار

بوقائعها ومناسبتها، وتسهيلاً على الباحثين في شعر العصر المملوكي الأول. د- أفرد البحث الفنون المستحدثة: الدوبيت، والموشحات، والأزجال في عنوان خاص بها في القسم الثاني منه. وأخيراً ترجم البحث للشخصيات المغمورة التي ارتبطت بحياة الحمّامي وشعره، وأعرض عن تلك التي يعرفها كل باحث في شعر العصر المملوكي الأول.

Abstract

Nasir al-Din Al-Hamamy was one of the poets who was prominent in the first Mamluk era. His name and poetry appear in books of literature, history, biography and criticism. He was known for his poetic nature, good nature and his ability in composing poetry. He was compared to other prominent poets in his time such as Siraj al din al Warraq, Abu al Hussein al jazar. Despite that, he was not given the appropriate attention by scholars. There were no attempts to gather his works or discuss his biography; only some studies that dealt with some of his poems and his style in the first Mamluk period in general, such as social poetry or puns, which Al-Hamamy was one of its pioneers. Hence came this research to: 1 - recollect the scattering news of his life in its various aspects. 2 - Survey his poetry in the reference books that dealt with poetry and literature in the Mamluk era. The research Title was a reference to these two objectives, "**Nasir al-Din Al-Hamamy: his life and what remains of his poetry**". The research adopts the inductive, descriptive method, where the researcher seeks to learn the poet's life from his poetry. This came in two parts: The first dealt with his life, was distributed to the following headings: his name, surname, birth, attributes, work, culture, relations, his status in poetry and finally his death. The second documented what remains of his poetry, as following: A - It arranged his poetry according to the alphabetical order and presented his rhymes following the use of vowel markers from the most powerful (kasra) to the least powerful (isokon). B - It showed the differences between the narrators of Al-Hamamy's poetry at different levels (word, phrase, lines etc.). It also adopted the narratives mentioned in history books or transferred by the disciples of the poet. C - Many narrators mentioned the occasions where Al-Hammamy wrote his poetry, and some of them gave their attitudes in that poetry. The researcher was

very keen to prove what they said referring to the poems in an attempt to facilitate the job of any future researchers. H – The research includes new novel arts such as Aldobat, Alozjal in the second part of it. Finally, the research mentioned the biography of other covered and unknowable literary figures associated with the live of Al-Hamamy and his poetry, and introduced those that are known to every scholar of poetry of the first Mamluk era.

القسم الأول

حياة نصير الدين الحمّامي

اسمه ولقبه

تتفق المصادر الأدبية والتاريخية التي ترجمت للشاعر أن اسمه "نصير بن أحمد بن علي المناوي"^(١). إلا أن بعضها أسماه النصر بدل النصير^(٢)، ونسب إلى مصر، فقبيل: المصري^(٣) نسبة إلى مكان ميلاده ونشأته وإقامته مصر. واشتهر الشاعر بنسبته: الحمّامي، لأنه كان يعمل في أكثر الحمامات، ليعتاش منها.

ومنحه ابن حجة الحموي لقب "الأمير نصير الدين الحمّامي"^(٤)، في معرض إيراد رسالة شعرية له بعثها إلي صديقه الشاعر سراج الدين الوراق. وهو خطأ من ابن حجة، فلم تثبت الإمارة للشاعر، ولم يشر أحد من المترجمين إلى ذلك، أو إلى هذا اللقب، وإنما أجمعوا على أن الشاعر من أرباب المهن، وهي طبقة تلي طبقة الفقراء في بؤسها، حسب تصنيف المقرئ لطبقات العصر المملوكي، ولهذا جعلها في الطبقة السادسة عقب الطبقة الخامسة، وهي طبقة الفقراء، فقال: "والقسم السادس أرباب الصنائع والأجراء أصحاب المهن"^(٥). ولعلّ ابن حجة يقصد بهذا اللقب التحبب إلى الشاعر والإطراء، وهو ما لم يعتد عليه مؤرخو العصر ونقادهم ومترجموه.

مولده

لم يذكر كثير من المترجمين والمؤرخين ولادة الحمّامي، واختلف من تحدثوا في تحديد زمن ولادته، فأورد بعضهم، وهما الصفدي والعيني أنّ "مولده بمنية بني خصيب سنة تسع

-
- (١) الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٣/٥، الكتبي، فوات الوفيات، ٢٠٥/٤، العيني، عقد الجمان، ٣٣٣/٤، ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ٧٦٠/٢، ابن حجر، الدرر الكامنة، ٢٤١/٤.
 (٢) البدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص ٢١٠، الغزولي، مطالع البدر، ص ٢٧/١.
 (٣) انظر الدرر الكامنة، ٢٤١/٤.
 (٤) ابن حجة الحموي، خزائن الأدب، ٥٠/٢.
 (٥) المقرئ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ١٤٧.

وستمائة^(١)، وذكر ابن حجر العسقلاني أنه "ولد سنة ٦٦٩ هـ"^(٢). أمّا الغزولي، فذهب إلى أنّ "مولده سنة خمس وعشرة وستمائة"^(٣). ولعلّ الصفدي أكثرهم تدقيقاً، وما ذلك إلاّ لأنه كان يأخذ معلوماته عن الحمّامي من لسان من عاصروه، وسمعوا أشعاره ورووها.

صفاته

أُصِفَ النصير الحمّامي بصفات تدلّ على دماثة أخلاقه، قال فيه أثير الدين أبو حيان، وهو من رواة شعره: كان "أديباً في مصر كَيْس الأخلاق"^(٤)، وهو عند السيوطي "صاحب فضائل كثيرة"^(٥)، وعدّه الكوكباني "من ظرفاء خادمي الحمّام"^(٦). وتدلّ أشعاره التي تبادلها مع شخصيات عصره، وشعرائه أنّ الشاعر كان محبوباً منهم، يودونه ويودهم، حسن المعاملة والمعاشرة معهم^(٧).

عمله

نصير الدين المناوي هو أحد الشعراء أرباب الحرف والمهن في العصر المملوكي الأول، فقد كان "في مصر يرتزق بضمان الحمامات"^(٨)، شأنه شأن أقرانه من شعراء العصر، الذين أوصدت أبواب الماليك في وجوههم، فارتدّوا إلى صنائعهم التي ورثوها عن آبائهم، أو تعلّموها، ليسترزقوا منها، ويصونوا أنفسهم عن ذلّ المسألة. ويشير نقاد العصر ومؤرخوه ومترجموه أنّ عمله هذا كان مادة لأشعاره، ومراسلاته مع شعراء عصره، الذين اتخذوا من مهنهم وحرفهم وسيلة لبث شكواهم، ونقد واقعهم الاجتماعي والسياسي، ووظفوا صنائعهم في صنع التورية، يقول الصفدي: "ويقيم بلاغة من فضالة تلك القمامات، عادة جرى الدهر على قاعدتها مع الأدباء"^(٩). ويقول ابن إياس: "عاصر السراج الوراق، وأبا الحسين الجزائر، وناصر وناصر الدين ابن النقيب، وكانت تساعدهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية"^(١٠). وقد قال في حمامه أشعاراً: مقطوعات وأزجال وموشحات، ذائعة الصيت بين أبناء عصره، وهي التي تناقلتها معظم المصادر التي ترجمت له، وأجمع مؤلفوها على أنها أجود أشعاره. ومنها قوله^(١١):

- (١) أعيان العصر، ٥٠٤/٥، عقد الجمان، ٣٣٣/٤.
- (٢) الدرر الكامنة، ٢٤١/٤.
- (٣) مطالع البدور، ٢٧/١.
- (٤) الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٤/٥، الدرر الكامنة، ٢٤١/٤، عقد الجمان، ٣٣٣/٤.
- (٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ٤٦٤/١.
- (٦) الكوكباني: حدائق المنام في الكلام على ما يتعلّق بالحمام، صص ٩٧.
- (٧) أشعاره مثبتة في القسم الثاني من البحث: ما بقي من شعره.
- (٨) أعيان العصر، ٥٠٤/٥، الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧، فوات الوفيات، ٢٠٥/٤، الدرر الكامنة، ٢٤١/٤، حدائق المنام، صص ٩٧.
- (٩) أعيان العصر، ٥٠٤/٥.
- (١٠) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١ ق ٤٤٣/١.
- (١١) الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧.

لبي منزلٌ معروفٌهُ ينهلُ غيثاً كالسَّحْبِ
أقبلُ ذا العذرَ فيهِه وأكرمُ الجارَ الجُنبِ

وقوله^(١):

ومذُ لزمْتُ الحمَّامَ صررتُ قتي خلاً يداري مَنْ لا يداريه
أعرفُ حرَّ الأشيا وباردَهه وأخذُ المماء من مجاريه

ثقافته

لم تقف المصادر بتفصيل عند ثقافة الحمامي، وكل ما أوردته لا يعدو إشارات سريعة تدل على أنه كان عامياً، وهي إشارة في مصادر العصر المملوكي تدل على صاحب الثقافة القليلة، ولكنهم أشادوا بتمكنه في الأدب، فهذا الصفدي يقول: "كان عامياً إلا في الأدب الذي يأتي بسحره"^(٢)، ويذكر السيوطي أنه "كان حجة في الأدب"^(٣) ويتفرد بمعلومات مفيدة تكشف عن ثقافة الحمامي ومؤلفاته، فقال: "له تصانيف عديدة في فن الأدب المفيدة، وله معرفة كبيرة"^(٤). وهي إشارة مهمة، لكن لم يؤيدها أحد من مترجمي العصر، فتظل ناقصة، وبخاصة أنه لا توجد بين أيدينا مؤلفات في عالم الأدب للحمامي، تدل على ثقافته. وهناك إشارات أخرى تدل على ثقافته الأدبية، وتميزه في هذا المجال، وهي أن بعض الأدباء في عصره كان يطلب إليه الكتابة وإبداء الرأي في نتاجه الأدبي، فهذا الأديب محمد بن علي الفرضي^(٥) "صاحب الرسائل المشهورة المعروفة بعين الفتوة ومرآة المروءة..، كتب له عليها جماعة"^(٦)، ومنهم الحمامي. وتبين بعض المصادر أن الحمامي تلمذ له بعض شعراء العصر المملوكي الكبار، فالشاعر المشهور جمال الدين ابن نباتة، ذكر في إجازته التي أرسلها إلى الصفدي، أن من شيوخه في الأدب "الأديب الفاضل نصير الدين المناوي الحمامي"^(٧)، ويبدو أن التلميذ قد صار فيما بعد مستشاراً لأستاذه، بروي ابن نباتة نفسه قائلاً: "اتفق لي بالديار المصرية، وهو أن الأديب نصير الدين المناوي المعروف بالحمامي. حضر إلي يوماً، وقال لي: إنني نظمت بيتاً، ولبعض الشعراء بيت في معناه، وقد وليتكم الحكم بينهما، والبيت الذي نظمته:

- (١) الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧، فوات الوفيات، ٢٠٧/٤، عقد الجمان، ٣٣٥/٤، الدليل الشافي، ٧٦٠/٢.
- (٢) أعيان العصر، ٥٠٣/٥.
- (٣) حسن المحاضرة، ٤٦٤/١.
- (٤) المصدر نفسه، ٤٦٤/١.
- (٥) يعرف بالوطواط، ولد سنة ٦٣٢هـ "وكان أديباً ماهراً عارفاً بالكتب". الدرر الكامنة، ١٨٢/٣.
- (٦) المصدر نفسه، ١٨٢/٣.
- (٧) الوافي بالوفيات، ٢٧/ ٣١٨-٣١٩.

قد كان محمراً الشفاه فلم أزل أقبأه حتى غدا وهو العس

والبيت الآخر:

وقبّلتُ بين الحاجبين صيانةً وقد كان مقرونأ فأصبح أبلجا

فقلتُ له: قد حكمتُ بأنّ بيتك أحسن، فقال: كيف؟ قلت: لأنك جدّدتَ حسناً، واللحس أحسن من الحمرة، وذلك أزال حسناً، والمقرون أحسن من الأبلج، كما نجد في وصف الشعراء غالباً، فأعجبه ذلك، ومدحني بأبيات يذكرُ فيها هذا الحكم^(١).

علاقاته

كانت للنصير الحمّامي علاقات واسعة بأبناء عصره: عالمهم وأديبهم، عامتهم وخاصتهم، فرضتها مكانته الأدبية، وطبيعة عمله في ضمان الحمامات، واحتكاكه المستمر بأناس مجتمعه، الذين كانوا يأتونه إلى حمامه.

لقد جمعتَه علاقة حميمة بشعراء المجتمع في عصره، وهذا ما يؤكد المترجمون، ومراسلاته الشعرية معهم، يقول الصفدي: "جاراه فحول عصره وجاراهم، وكتبوا إليه، فأجابهم وباراهم وما ماراهم"^(٢)، وهو يشير هنا إلى المنافسة الشعرية التي كانت تجري بين هؤلاء الشعراء في القول في حرفهم وصنائعهم. ويقول ابن حجر: "وكانت بينه وبين السراج الوراق، وابن النقيب، وابن دانيال وغيرهم من المصريين مداعبات يطول ذكرها"^(٣). وجمعتَه علاقة بالشاعر أبي الحسين الجزار^(٤)، وأحمد الموصللي الزجال^(٥).

وكانت له علاقة بعدد من علماء عصره، وفي مقدمتهم أثير الدين أبو حيان، وفتح الدين ابن سيد الناس، وجمال الدين بن إبراهيم بن شهاب الدين محمود الحلبي، كان يجتمع بهم، وينشدهم أشعاره، حتى صاروا من روايتها، واستفاد المترجمون منهم في جمعها، يقول الصفدي نقلاً عن أثير الدين أبي حيان: "وكتبتُ عنه قديماً وحديثاً، وأنشدني أثير الدين من لفظه قال: أنشدني النصير المذكور لنفسه"^(٦)، ومثل هذا ذكر عن ابن سيد الناس إذ قال: "أنشدني الحافظ فتح الدين الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس قال: أنشدني النصير الحمّامي لنفسه"^(٧). ويقول عن جمال الدين إبراهيم: "وأنشدني من لفظه القاضي جمال الدين إبراهيم ابن سيخنا العلامة

(١) ابن نباتة، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) أعيان العصر، ٥٠٣/٥.

(٣) الدرر الكامنة، ٢٤١/٤.

(٤) انظر الوافي بالوفيات، ١٠٦/٢٧، أعيان العصر، ٥١٧/٥، فوات الوفيات، ٢٠٧/٤، خزنة الأدب، ٥٨/٢، العامل، الكشكول، ٢٤٤/٢.

(٥) انظر الوافي بالوفيات، ١١٥/٢٧، أعيان العصر، ٥١٥/٥، فوات الوفيات، ٢١٣/٤.

(٦) الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧-١٠٤، ١٠٩، أعيان العصر، ٥٠٤-٥٠٦، وانظر فوات الوفيات، ٢٠٥/٤، عقد الجمال، ٣٣٣/٤.

(٧) الوافي بالوفيات، ١٠٦/٢٧، أعيان العصر، ٥٥٣/٤، وانظر عقد الجمال، ٣٣٥/٤.

شهاب الدين أبي التناء محمود، قال: أنشدني من لفظه لنفسه النصير الحمامي بقلعة الجبل^(١)، ويبدو من خلال هذا النص أن الحمامي كان يتردد إلى هذا الكاتب في قلعة الجبل للتكسب، ونيل العطايا والهبات^(٢).

ويبدو أنّ العلاقة المميزة جمعته بالسراج الوراق، وهذا ما يؤيده كثرة المراسلات بينهما التي أثبتتها المترجمون، وهي تتم عن ودّ وحب عميق ربط بين الشعارين، وكانت موضوعات مراسلاتهما في الشوق، والعتاب، والتهادي، والألغاز، والمديح والإطراء، والاستدعاء أو طلب الزيارة، ومنها قول الحمامي يستدعي الوراق إلى حمامه "وقد كان السراج وعده، فتأخر عنه^(٣):"

وَكَدَّرْتَ حَمَّامِي بَغِيْبِيَّتِكَ الَّتِي تَكْدَرُ مِنْ لَدَائِهَا صَفْوُ مَشْرِبِي
فَمَا كَانَ صَدْرُ الْحَوْضِ مُنْشَرِحًا بِهَا وَلَا كَانَ قَلْبُ الْمَاءِ فِيهَا بَطِيْبًا
ومنها ما أرسله إلى السراج الوراق، وقد كان "يسكن الروضة^(٤):"

كَمْ قَدْ أَرْدَدْتُ لِلْبَابِ الْكَرِيمِ لَكِي أَبْلُ شَوْقِي وَأَحْيِي مِيْتَ أَشْعَارِي
وَأَنْتَ فِي خَائِبًا فِيمَا أَوْلَمَهُ وَأَنْتَ فِي رَوْضَةٍ وَالْقَلْبُ فِي نَارِ
إنّ العلاقة التي جمعته بمن ذكروا أنفأ إيجابية، ولكن تذكر بعض المصادر أنّ هناك علاقة سلبية كانت تربطه بمحمد بن إبراهيم بن حازم بن صخر بن حجر الكناني الحموي البيساني الشافعي^(٥)، وأته هجاه "بمقطوعة، فحلم عنه، وأحسن إليه"^(٦).

شعره ومكانته الشعرية

الحمامي من الشعراء المبرزين الذين ذاع صيتهم في العصر المملوكي الأول، وارتبطت شهرته بشهرة الشعراء أرباب الحرف في عصره، فقد أشاد بشاعريته أبناء عصره، ونقاده،

(١) الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧.

(٢) سيأتي الحديث عن ذلك تحت عنوان: "شعره ومكانته الشعرية".

(٣) الوافي بالوفيات، ١٠٧/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٨/٥، الصفدي، الكشف والتنبيه، ص ٤٠٦، فض الختام، ص ١٣٠، فوات الوفيات، خزنة الأدب، ٥٩/٢، كشف اللثام، ص ٢٥، ٢٠٨/٤، مطالع البدر، ٣١٩/٢، بدائع الزهور، ج ١ ق ٤٤٣/١، حدائق النمام، ص ٩٨-٩٩.

(٤) مطالع البدر، ٢٧/١، بدائع الزهور، ج ١ ق ٤٤٣/١. لمزيد من مراسلاتهما انظر الوافي بالوفيات، ١١٨-١٠٩/٢٧، أعيان العصر، ٥١٠-٥١٩/٥، فوات الوفيات، ٢١٥-٢٠٨/٤، عقد الجمان، ٣٣٦-٣٣٥/٤، خزنة الأدب، ٦٠/٢، كشف اللثام، ص ٤، مطالع البدر، ٢٢٧/١.

(٥) ولد بحماة سنة ٦٣٩، كان فقيهاً ومحدثاً، صنف في عدة فنون، وقاضياً، تولى القضاء في غير منطقة، ومدرّساً، درّس في غير مدرسة، توفي سنة ٧٣٣هـ. انظر الدرر الكامنة، ١٧١/٣-١٧٢.

(٦) الدرر الكامنة، ١٧٢/٣.

وأصحاب كتب الأدب والتراجم والتاريخ، وجاءت إشاراتهم في معرض ترجمة حياته، وهذه أقوال بعضهم:

قال العيني: "الأديب المشهور"^(١).

قال ابن تغري بردي: "الأديب الشاعر المشهور"^(٢).

وقال السيوطي: "كان حجة في الأدب، ماهراً في الشعر"^(٣).

وقال ابن حجر: "وتعانى نظم الشعر، ففاق فيه"^(٤).

وقال ابن إياس: "وكان من فحول الشعراء"^(٥).

وأشاد المترجمون والنقاد بشعر نصير الدين الحمّامي، وورد ذلك في ترجمتهم له كما يبدو في قول الصفدي: "معانيه بليغة، وألفاظه فصيحة، وأبكاره برزت حاسرة ولم تخش فضيحة، وتركيب كلماته في كلّ ما يأتي به في غاية الانسجام، ومقاصده مليحة تطوف على النفوس منها بالأنس جام"، "كم ألغى ذكر من تقدّم، وأوجز فأوجب أنّ الذي أداره على الأسماع كأس السلاف المقدّم، وأعجز من أعجب السامعين، فقالوا ما غادر هذا الشاعر بعده من مترّد" ^(٦). إنّ هذا الكلام، وإن كان من المبالغات التي اعتاد عليها الباحثون من الصفدي، تدل على رأي أهل العصر بشعر الحمّامي، وتميّزه في عصره، وهو ما دفع الصفدي في موضع آخر إلى تقديمه على الشعراء الذين سبقوه إذ قال: "ومثل النصير الحمّامي فأثمه هزم بقسطه كلّ جاهلي وإسلامي"^(٧).

وأثنى على شعره شعراء عصره الذين كانوا يتبادلون الرسائل الشعرية معه، فهذا سراج الدين الوراق جعل الحمّامي في أشعاره، وأزجاله، وبلاغته يتفوق على من سبقوه من بلغاء العرب وأدبائهم، أمثال: قس بن ساعدة الإيادي، وعبيد بن الأبرص، ولبيد بن ربيعة، وابن قزمان الأندلسي، وأشاد بموشحاته، التي خسرت كتاب دار الطراز درها، وجعلت عبادة بن ماء السماء، مخترع الموشحات، يعترف بتميزها، يقول^(٨):

ذو بيان أدنى بلاغته تنسب ————— يك فسّاً وعصره وإيادَه
جوهرى الألفاظ كم قلد الأجد ————— يباد عقداً من نظمه وقلايده

(١) عقد الجمان، ٣٣٣/٤، حدائق النمام، ص ٩٨.

(٢) الدليل الشافي، ٧٦٠/٢.

(٣) حسن المحاضرة، ٤٦٤/١.

(٤) الدرر الكامنة، ٢٤١/٢.

(٥) بدائع الزهور، ج ١ ق ٤٤٣/١.

(٦) أعيان العصر، ٥٠٣/٥-٥٠٤.

(٧) فض الختام، ص ١٣٠.

(٨) الوافي بالوفيات، ١١٢/٢٧، أعيان العصر، ٥١٣/٥، فوات الوفيات، ٢١١/٥.

فعبيدُ أدنى العبيد لديهِه وليبئدُ عن نظمهِه ذو بلادهِه
ولأزجالهِه ابنُ قزمان يعنو ولتوشِجهِه يُقرُّ عباده
فات دار الطراز منه خلالٌ لوبها السعيدُ^(١) تمّت سعادهِه

ويشيد الوراق في مقطوعة أخرى بأشعار صديقه الحمامي ، إذ صورها عروساً بكرأ،
ومداماً تنشي شاربيها في قوله^(٢):

حبّذا من بنات فكَركَ عذرا ء لها من فتيق مسكٍ ختامُ
خلتُ ميمَ الرويِّ فاهما وقد ضاقَ وَمَن ذاقَ قال فيه مُدامُ
ولها من عقودٍ لفظتْكَ حليٌّ لم يجرُ مثلَ درّه النظامُ

وجاءت الإشادة بأشعاره إبان إيرادها والتعليق عليها، أو نقدها وتفضيلها، وهي كثيرة عند
النقاد والمترجمين، ومنها:

قول الصفدي: "ومن هذه القلائد في جيد الولائد"^(٣).

وقوله: "ومن نظمه الذي صار دولاً وصار مثلاً"^(٤).

وقول ابن حجة الحموي: "ومما شرح الصدور والقول من قول الحمامي"^(٥).

وقوله: "ومن نكته اللطيفة"^(٦)، "ومن لطائفه في تغزلاته"^(٧)، "ومن لطائفه في
مداعباته"^(٨)، "ومن لطائف مجونه"^(٩).

وقال ابن أبي حجلة التلمساني: "وما أحكم قول النصير الحمامي"^(١٠).

(١) يقصد ابن سناء الملك.

(٢) الوافي بالوفيات، ١١٥/٢٧.

(٣) فض الختام، ص ١٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٣٠.

(٥) خزنة الأدب، ٥٩/٢.

(٦) خزنة الأدب، ٦٠/٢، كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام ، ص ٢٥.

(٧) خزنة الأدب، ٦٠/٢.

(٨) خزنة الأدب، ٦٠/٢.

(٩) كشف اللثام، ص ٤.

(١٠) ابن أبي حجلة، سلوة الحزين في موت البنين، ص ٩٨.

وقال البدرى: "ومن لطائف النصير الحمّامي"^(١).

وتحدث النقاد والمترجمون عن أثر الحمّامي في شعراء عصره، وتأثرهم به، وهي ميزة تحسب للشاعر، وقد أورد ابن حجة الحموي، وهو من المكثرين من تتبع أخذ شعراء العصر المملوكي بعضهم من بعض، أن الشاعر جمال الدين بن نباتة كان ممن تأثروا بالحمّامي، فقال بعد أن أنشد غزلاً للحمّامي:

ما زال يسقيني زلالَ رضابهِ لما خفيتُ ضنى وذبتُ توقدا
ويظنني حياً رويتُ بريقهِ فإذا دعا قلبي يجلو به الصدى

"أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وتقول عليه بالسيف، فقال:

أدعو السيوفَ صقيلةً من لحظهِ وإذا دعوتُ لمأه جابوني الصدى"^(١)

وأعجب بعض أدباء العصر المملوكي بموشحات الحمّامي، فعارضوها، ومنهم الشاعر محمد بن أحمد ابن القليوبي^(٢).

وعلى الرغم من هذا الإطراء بشعر نصير الدين الحمّامي، إلا أنه كان للنقاد وقفة مع سقطاته الشعرية، أو التي عدّوها سقطات، وذلك إبان إيرادهم أشعاره، ومن هؤلاء صلاح الدين الصفدي، الذي انتقده غير مرة، فهو يعلق على قول الحمّامي في مراسلاته للشاعر ناصر الدين ابن النقيب:

تموزُ فكـرُكَ والعـبـرُ ————— ذُفـكـرُهُ فيـك طـوبُ

"قلتُ: ما كان يليق ذكر تموز، وهو من شهور الروم، وطوبه، وهو من شهور القبط"^(٤)، وواضح أنّ النقد يحمل بعداً فكرياً، فهو يرفض أن يستخدم الشاعر أسماء الأشهر غير العربية.

وحين أورد الصفدي قول النصير:

رأيتُ فتى يقولُ بشطِّ مصرٍ على درجٍ والبعضُ غارقُ
متى غطى لنا الدرّجَ استقمنا فقلتُ: نعم وتنصلحُ الدقائقُ

(١) الدري، نزهة الأنام في محاسن الشام، ص ٢١٠، وانظر ٣٣٤.

(٢) خزانة الأدب، ٦٠/٢.

(٣) محمد بن أحمد بن عيسى، فتح الدين أبو عبد الله ابن أبي العباس الكنانى العسقلانى، المعروف بابن القليوبي، ولد سنة ٦٦٢هـ، واشتغل بالفقه، وبرع في الأدب، وولي القضاء في غير مكن في مصر، ثم قضاء صفد، توفي سنة ٧٢٥هـ. انظر المقفى الكبير، ١٨٠١/٥، والدرر الكامنة، ٢١٠/٤.

(٤) أعيان العصر، ٥٠٩/٥-٥١٠.

جعل هذا من باب الوهم في الاشتراك، وقال معلقاً: "الظاهر من هذا أنه أراد بالدقائق جمع دقيقة، ليناسب بين الدرج والدقائق، وورى بذلك عن الأدقة التي هي جمع دقيق، لأنّ النيل إذا وفى رخص السعر، وصلح الزرع، الذي ينتهي أمره لأن يكون دقيقاً، فدقيق لا يُجمع على دقائق، إنما يُجمع على أدقة، مثل جليل وأجلة، وعزيز وأعزة، وسرير وأسرة"^(١). وفي كتب أخرى له جعل الصفدي ذلك من فساد التورية^(٢).

أما طريقتة في كتابة الشعر، ومذهبه فيه، فوقف عندها النقاد والمترجمون، فقد بينوا أنه كتب بعض أشعاره استجداءً وتكسباً، وبخاصة في أخريات حياته، حين لم يعد قادراً على العمل، يقول أثير الدين أبو حيان: إنّ الحمامي "أسنّ وضعف" عن العمل في الحمامات، "وكان يستجدي بالشعر"^(٣)، وقد جعله هذا الأمر يتردد إلى قلعة الجبل، شأنه شأن شعراء عصره، الذين كانوا يمدحون العرب كتاب الإنشاء وأصحاب المناصب الأخرى في الدولة المملوكية، لينالوا عطاياهم، وهذا ما أثبتته البحث أنفاً حين بينّ علاقته بالقاضي جمال الدين إبراهيم ابن شهاب الدين محمود الحلبي^(٤). ويؤكد نهجه في التكسب أنه كان يطلب إلى الشعراء ذوي العلاقة الطيبة بأرباب المناصب بالدولة المملوكية أن يزكوه عندهم، فقد قال "النصير يوماً للسراج الوراق: قد عملت قصيدة في صاحب تاج الدين"^(٥)، وأشتهي أنك ترهز لها، وتشكرها، وسيّرنا إلى صاحب، فلما أنشدت بحضرة السراج، قال السراج بعدما فرغ منها:

شاقني للنصير شعراً بديعاً ولمثلني في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعتُ باسمك فيه قلت: نعم المولى ونعم النصير

فأمر له صاحب بدراهم، وقال: قل له: هذه مائتا درهم صنجة، فلما أدى الرسول الرسالة، قال النصير: قتل الأرض بين يدي مولانا صاحب، وقل: يسأل إحسانك أن تكون عادة، فلما سمع ذلك صاحب أعجبه، وقال: يكون ذلك عادة"^(٦).

وكان النصير الحمامي ممن اشتهروا في نظم المقطوعات الشعرية، التي ازدهرت في العصر المملوكي الأول، حين توجه الشعراء إلى الشعب، فتميّزت أشعارهم بالسخرية والنقد

(١) فض الختام، ص ١٢٧.

(٢) انظر الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٧/٥.

(٣) الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٤/٥، فوات الوفيات، ٢٠٥/٤، عقد الجمان، ٣٣٣/٤.

(٤) انظر ذلت تحت عنوان "علاقاته".

(٥) محمد بن محمد بن علي بن سليم بن جنا صاحب تاج الدين المصري، ولد سنة ٦٤٠هـ، حدث، وولي الوزارة سنة ٦٩٣هـ، وكان جواداً يمدحه الشعراء، وأديباً، ومحباً للفقراء، وكثير الصدقة والتواضع، توفي سنة ٧٠٧هـ.

انظر الدرر الكامنة، ١٢٥/٤-١٢٦.

(٦) الوافي بالوفيات، ١٠٦/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٧/٥-٥٠٨، فوات الوفيات، ٢٠٧/٤-٢٠٨، خزنة الأدب، ٥٠/٢-٥١، كشف اللثام، ص ٢٠.

وروح الدعابة والفكاهة، فازدهرت المقطوعات الشعرية، ليسهل تلقيها وحفظها، ثم ذبوعها وانتشارها. وقد أدرك النقاد طريقته هذه في قول الشعر، فأشادوا بمقطوعاته، كما يبدو في قول ابن نباتة عنه: "صاحب المقاطيع المشهورة"^(١)، وبيّن الصفدي أن "مقاطيعه رائعة"^(٢).

وجلّ أشعاره التي أثبتتها البحث مقطوعات شعرية قصيرة إلا موشحاته وأزجاله.

والحمّامي أحد رواد حلبة التورية في عصره، وهو مذهب بدعيّ تبناه عدد من شعراء العصر، وبخاصة أرباب الصنائع، وازدهر يومذاك، وأطلق عليه نقاد العصر السحر الحلال^(٣). يتحدث الصفدي عن مذهب الحمّامي، وتميّزه فيها، فيقول: "قعدت معه التورية وجادت، ورأست على كلام غيره وسادت"^(٤). ويشيد الصفدي في موضع آخر برواد التورية في عصره، ومنهم النصير الحمّامي: "كلّ منهم جلّ إلا أن يكون قد جرى، واستوعب محاسن هذا الفنّ، فأضحى بذلك الاستيعاب مجلّي، فكلّهم يرمون في الإحسان عن قوس واحدة...، ويصلون المقطوع بالمقطوع، فلا تخلو فيه كلمة فائتة من فائدة، وغالب شعرهم من هذا النمط، وأكثر نظمهم درر الأسماع منى ثلثتقى تلتقط"^(٥). ويثني ابن حجة الحموي على أرباب هذا المذهب، وبيّن أنهم كانوا امتداد مدرسة القاضي الفاضل^(٦)، ثم الشاعر ابن سناء الملك، وبيّن أن الذي أعانهم على التميّز فيها حرفهم ومهنتهم، يقول: "ولم يزل ابن سناء الملك يتلاعب في التورية باختراعاته، ويُسكنها في عامر أبياته إلى أن ظهر بعده السراج الوراق، فجلا غياهاها بنور مشكاته، وتعاصر هو وأبو الحسين الجزار والنصير الحمّامي، وتطارحوا كثيراً، وساعدتهم صنائعهم وألقابهم في نظم التورية"^(٧). وفي الحقيقة إن ما وصل من شعر الحمّامي على قأته يكشف عن موهبته في هذا الفن البدعي، وقدرته على التلاعب بالألفاظ، وبخاصة في مقطوعاته التي يصور فيها حرفته في ضمان الحمامات.

أما حجم شعره، فلم يشر إليه النقاد والمترجمون، ولم يذكروا ديوانه الشعريّ، كما فعلوا مع غيره من شعراء عصره ورفاقه، أمثال الجزار والوراق وناصر الدين ابن النقيب، ولعلّ ذلك راجع إلى قلّة أشعاره بصورة عامة، وهو ما يؤكده مصادر العصر التي أثبتت أشعاراً قليلة للرجل، وكثير منها مكرور فيها. واعتاد الباحث في شعر هذا العصر أن يجد المترجمين والنقاد يشيرون إلى أشعار ضائعة لمن يترجمون لهم، وذلك حين يوردون قصائد مختزلة، أو يذكرون أنهم أكثروا من القول في فلان أو فلان، وهذا ما لم يعثر عليه البحث في ترجمة النصير الحمّامي، ومع ذلك لا يعدم الباحث إشارات تفيد أن بعض أشعاره مفقودة، ومنها قول ابن نباتة بعد أن حكم بتميز بعض أشعار الحمّامي على من سبقوه: "ومدحني بأبيات يذكر فيها هذا

(١) مطلع الفوائد، ص ١٢٩.

(٢) أعيان العصر، ٥/٤٠٤.

(٣) انظر خزنة الأدب، ٢/٢١٠، كشف اللثام، ص ١٥.

(٤) أعيان العصر، ٥/٥٠٣.

(٥) فض الختام، ص ١٢٧.

(٦) انظر كشف اللثام، ص ٥٨.

(٧) خزنة الأدب، ٢/٤٨، كشف اللثام، ص ١٧.

الحكم"^(١)، وهي أشعار لم تصل، ولم تثبتها مصادر العصر. وذكر النقاد والمترجمون أنه كان متكسباً، ولكن الأشعار التي أوردوها في هذا الشأن قليلة جداً، ما يدل على ضياع الكثير منها.

وبلغ ما وصل من شعر نصير الدين الحمامي ١٣٤ بيتاً، وكلها مقطوعات شعرية. أما الفنون المستحدثة، فورد فيها دوبيتان، وموشحتان، وزجل واحد.

أما أغراضه الشعرية، فقد تعددت وتنوعت، وكان أبرزها غرض الإخوانيات، والألغاز والوصف، والشكوى، والحكمة، والغزل، والهجاء، والحنين.

وفاته

اختلف من ترجموا للحمامي في سنة وفاته، مثلما اختلفوا في سنة ميلاده، ويبنوا أنه "أسن وضعف"، و"أصبح للأعداء رحمة، وبكته معانيه"^(٢)، ويذكر الصفدي والكتبي أنه توفي "سنة أربع وسبعمائة"^(٣)، وورد عند غيره أنه توفي سنة ٧١٢هـ^(٤)، وجعله العيني في وفيات سنة ٧٠٣هـ^(٥). ولعل الراجح هو ما أورده الصفدي، للأسباب ذاتها التي ذكرتها في الحديث عن ميلاده. وبذلك يكون الحمامي قد عاش ٩٥ عاماً، فهو من الشعراء المُعمرين.

القسم الثاني

ما بقي من شعره

قافية الألف

قال نصير الدين الحمامي: ^(٦)

ربّ ثقيلٍ ضمّني مجلسٌ للشّرب في حضرتي في ملا
قام بكأس الرّاح لي خدمة وقال لي: سرّك ذا؟ قلت: لا

(١) مطلع الفوائد، ص ١٣٠.

(٢) الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٤/٥، فوات الوفيات، ٢٠٥/٤، عقد الجمان، ٣٣٣/٤.

(٣) أعيان العصر، ٥٠٤/٥، فوات الوفيات،

(٤) انظر الدليل الشافي، ٧٦٠/٢، خزانة الأدب، ١٠٨/٢، بدائع الزهور، ج ١، ٤٤٣، ١.

(٥) انظر عقد الجمان، ٣٣٣/٤.

(٦) التخريج: النواجي، كتاب الشفاء في بديع الإكتفاء، ص ١٢٥.

"وكتب النصير إلى الوراق ملغزاً في كناية^(١):

يا واحداً في عصره في مصره^(٢) ومن له حُسْنُ السَّنَاءِ والسَّنَاءِ
تعرف^(٣) لي اسماً فيه ذوقٌ وذكاء حلّوُ المُحَيِّيا والجنان والجنى
والحلّ والعقدُ لــــه في دَسْتِه ويجلسُ الصدر^(٤) وفي الصدر المُنى
إن قيل يوماً: هل لذك كناية؟ فقل لهم: لم يخلُ ذاك من "كنا"
أين لعيني لا لسمعي حلّ ما ألغزته لا زلت مشكور الثنا

قافية الباء

"وكتب النصير إلى السراج الوراق، وقد كان السراج وعده فتأخر عنه^(٥):

وكدّرت حمّامي بغيبتك^(٦) التي تكدّر من لذاتها^(٧) صفو مشربي^(٨)
فما كان صدر الحوض مُشرحاً بها ولا كان قلب الماء فيها بطيب^(٩)

قال النصير في من أهدى له جمارة: ^(١٠)

(١) ورد أن هذه الأبيات كتب بها إلى قاضي القضاة تقي الدين القشيري يطلب إليه كناية، فأرسل إليه عشرين درهماً. وفي معجم شيوخ الذهبي: "أنشدنا محمد بن علي الفرضي لنصير المناوي ملغزاً في ذلك". والتخريج: معجم شيوخ الذهبي، ص ٥٣٣، ووردت الأبيات الأربعة الأولى في: الوافي بالوفيات، ١١٥-١١٦، أعيان العصر، ٥١٧/٥، فوات الوفيات، ٢١٤/٤، والثلاثة الأولى في السيوطي، منهل اللطائف في الكناية والقطايف، ص ٤٣.

(٢) في فوات الوفيات ومنهل اللطائف: بمصره.

(٣) في منهل اللطائف: عرف.

(٤) في فوات الوفيات: ومجلس الصدر.

(٥) التخريج: الوافي بالوفيات، ١٠٧/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٨/٥، الكشف والتنبيه، ص ٤٠٦، فض الختام، ص ١٣٠، فوات الوفيات، ٢١٤/٤، خزنة الأدب، ٥٩/٢، كشف اللثام، ص ٢٥، مطالع البدور، ٣١٩/٢، بدائع الزهور، ج ١ ق ٤٤٣/١، حدائق النمام، ص ٩٨-٩٩.

(٦) في حدائق النمام: لغيبتك.

(٧) في مطالع البدور: لذتها.

(٨) ورد الشطر الثاني في فض الختام: تكدر منها صفو عيشي ومشربي. وفي خزنة الأدب وكشف اللثام وبدائع الزهور: تكدر فيها العيش من كل مشرب.

(٩) ورد في مطالع البدور، وحدائق النمام: فما كان صدر الحوش مُشرحاً به ولا كان قلب الماء فيه بطيب.

(١٠) التخريج: نزهة الأنام، ص ٣٢٧-٣٢٨.

أهدى لنا جمّةارة مَنْ لستُ أخلو من عذابه
فكأنّما هي جسامه لَمّا تجرّد من ثيابه

"كتب النصير ملغزاً إلى الوراق في آل^(١) (٢):

تعرّف أسماً ظاهراً طورا وطورا يُحجبُ
مثل السحابِ إّما بارقُ هـذا خُـبُ
وهو إذا قلباً فإله لا يُقلبُ

"ومن لطائف النصر الحمامي قوله: (٣)

وخوخة يحكي لنا نصفها جنّة معشوق رآها الكئيبُ
ونصفه الآخرُ شـبّههُ بلون صبّ غاب عنه الحبيبُ

وكتب الحمامي "إلى الوراق ملغزاً في سيل^(٤):

أيامن له ذهنٌ لدى الفكر لا يخبو ومن لم يزل يحنو ومن لم يزل يحبو
قصدتُ سراج الدّين في ليل فكرة يكاد جواد العقل في سئلها^(٥) يكبو
وأرشدني شيئاً به^(٦) به يُدرِكُ المنى له قلبُ صبّ كم فؤادٍ به صبّ
إذا ركبَ البيداءَ يُخشى ويُتقى ولم يثنه طعنٌ ولم يثنه ضربُ
بقلبٍ يهدّ الصخرَ يومَ لقائه ومن أعجب الأشياء ليس له قلبُ

"وكتب النصير إلى السراج الوراق من أبيات^(٧):

-
- (١) سراب.
(٢) التخرّيج: الغيث المسجم: ٤٥٤/٢.
(٣) نزّهة الأنام، ص ٢١٠.
(٤) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١١٠/٢٧، أعيان العصر، ٥١١/٥.
(٥) في الوافي: سئلها، وبها ينكسر الوزن.
(٦) في أعيان العصر: ليرشد في شيئاً به.
(٧) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٩/٢٧، أعيان العصر، ٥١٠/٥، فوات الوفيات، ٢٠٩/٤.

كنتُ مثلَ الغزالِ واللهُ يكفني صرتُ في وجهه إذا جئتُ كلباً
ولعمري لا ذنبَ لي غيرَ أتي ثبّتَ اللهُ ظنَّ ذاكِ ذنباً
وهو لو جاءني وقد ثبّتُ حتى بيتغني حاجةً فلن أنأبى
قال الصفدي: "أنشدني من لفظه القاضي جمال الدين إبراهيم ابن شيخنا العلامة شهاب
الدين أبي التّناء محمود، قال: أنشدني من لفظه لنفسه النصير الحمّامي بقلعة الجبل^(١):
لبي منزلٌ معروفٌ يُنهّلُ غيثاً^(٢) كالسَّحبِ
أقبلُ ذا العذرِ بهِ وأكرمُ الجوارِ الجُنبِ

قافية الحاء

يقول الصفدي: "وما أحسن قول النصير الحمّامي^(٣):
أصبحتُ من أغنى الـورى مستبشراً^(٤) بالفرج
عندي خمراً ذهباً أكتأله بالقدح
وكتب النصير الحمّامي إلى سراج الدين الورّاق^(٥):
رُبّ راو عن النبيّ حديثاً مسنداً شافياً^(٦) كلاماً فصيحاً
قال: قال النبيّ قولاً صحيحاً قلتُ: قال النبيّ قولاً صحيحاً
وفهمتُ الذي أشارَ إليه^(٧) وسمعتُ الذي رواه صريحاً
قال لي: يا أديبُ أنتَ فقيهٌ قلتُ: لا، قال: حُزتَ ذهناً مليحاً

- (١) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٦/٥، الكشف والتنبيه، ص ٤٠٦، فض الختام، ص ١٣٠، فوات الوفيات، ٢٠٧/٤، الدرر الكامنة، ٢٤١/٤، خزنة الأدب، ٨١/١، ٥٩/٢، كشف اللثام، ٢٥، والبيت الأول ورد في مطالع البدر، ٣١٩/٢، بدائع الزهور، ج ١ ق ٤٤٣/١، الكوكباني، حدائق النمام في الكلام على ما يتعلّق بالحمّام، ص ٩٧.
(٢) في حدائق النمام: جوداً.
(٣) التخرّيج: الغيث المسجّم، ٤٤١/١، أعيان العصر، ٣٥٨/٥، الدرر الكامنة، ٢٤٢/٤، خزنة الأدب، ٦٠/٢، كشف اللثام، ص ٢٥، الأزهرى، مستوفى الدواوين، ١٤٨/١.
(٤) في خزنة الأدب، وكشف اللثام: طائراً.
(٥) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١١٧/٢٧، أعيان العصر، ٥١٨/٥، فض الختام، ص ٢٣٢-٢٣٣.
(٦) في الدرر الكامنة: ثابتاً.
(٧) في الدرر الكامنة: ففهمت.

قافية الدال

قال الصفدي: "أنشدني إجازة العلامة أثير الدين أبو حيان قال: أنشدني النصير الحمّامي لنفسه^(١):"

إنّي لأكره في الأنعام ثلاثة ما إن لها^(٢) في عدّها من زائد
قربَ البخيل وجاهلاً متعاقلاً لا يستحي وتودّداً من حاسد
ومن البليّة والرزيّة^(٣) أن ترى هذي الثلاثة جمعت في واحد

وكتب النصير إلى الورّاق^(٤):

أتى فصلّ الخريف عليّ جدّاً بأمراض لواعجها شـدداً
وأعدُّ عائدي إن لم يعدنني وربّ مريض قوم لا يُعاد

وقال^(٥):

ما زال يسقيني زلال رضابه لَمّا خفيتُ ضنى ودبتُ توقّدا
ويظننني^(٦) حياً رويتُ بريقه فإذا دعا قلبي يجاوبه^(٧) الصّدا

(١) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٩/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٦/٥، فوات الوفيات، ٢٠٩/٤، ٣٣٥/٤، عقد الجمان، ٣٣٥/٤، مطالع البدر، ١٥٦/١.

(٢) في أعيان العصر "لها".

(٣) في فوات الوفيات: ومن الرزية والبليّة.

(٤) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١١١/٢٧، أعيان العصر، ٥١٢/٥، فوات الوفيات، ٢١٠/٤، عقد الجمان، ٣٣٥/٤.

(٥) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٥-١٠٤/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٦/٥، فوات الوفيات، ٢٠٦/٤، عقد الجمان، ٣٣٤/٤، خزنة الأدب، ٦٠/٢.

(٦) في عقد الجمان: ويظنني.

(٧) في خزنة الأدب: يجلو به.

قافية الرء

وقال^(١):

قالوا أفنضحت بحبّه فأجبت: لي في ذا اعتذارُ
مَنْ لي بكتمان الهوى وبخده نغم العذارُ

وكتب نصير الدين الحمّامي "إلى السراج الوراق، وكان السراج يسكن الروضة"^(٢):
كم قد أردّد للباب الكريم لكي^(٣) أبلّ شوقي وأحيي ميت أشعاري
وانتفى خائباً فيما أومله وانت في روضةٍ والقلب في نار

وكتب إلى السراج الوراق "ملغزاً في النار"^(٤):
وما اسمٌ ثلاثي به النفع والضرر له طلعة تُغني عن الشمس والقمر
وليس له وجهٌ وليس له قفاً وليس له سمتٌ وليس له بصر
يمدّ لساناً يختشي الرمح^(٥) بأسه ويسخر يوم الضرب^(٦) بالصارم الذكر
يموت إذا ما قمت تسقيه قاصداً وأعجب من ذا أن ذلك من الشجر
أيا سماع الأبيات دونك شرحها^(٧) وإلا فقم عنها ونبّه لها عمر^(٨)

وقال^(٩):

- (١) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٤/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٥/٥، فوات الوفيات، ٢٠٦/٤، عقد الجمان، ٣٣٤/٤.
- (٢) مطالع البدور، ٢٧/١، بدائع الزهور، ج١ ق٤٣/١.
- (٣) ورد هذا الشطر في بدائع الزهور: وكم ترددت للباب الكريم لكي.
- (٤) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١١٣/٢٧، أعيان العصر، ٥١٤/٥، فوات الوفيات، ٢١٢/٤، مطالع البدور، ٣٢٩/٢.
- (٥) في فوات الوفيات: تختشي الريح.
- (٦) في مطالع البدور: الحرب.
- (٧) في مطالع البدور: حلها.
- (٨) يقصد سراج الدين عمر الوراق.
- (٩) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٤/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٥/٥، فوات الوفيات، ٢٠٦/٤، الدرر الكامنة، ٢٤١/٤، عقد الجمان، ٣٣٤/٤.

إِنَّ الْغَزَالَ الَّذِي هَامَ الْفَوَادُ بِهِ اسْتَأْنَسَ الْيَوْمَ عِنْدِي بَعْدَمَا نَفَسَ
أَظْهَرْتُهُمَا ظَاهِرِيَّاتٍ وَقَدْ رَبَّضَتْ فِيهَا الْأَسْوَدُ رَأَهَا الظَّبْيُ فَانكسرا
قال^(١):

أَقُولُ لِلْكَأْسِ إِذْ تَبَسَّدَتْ^(١) فِي كَفِّ أَحْوَى أَغْنَى أَحْوَرُ
خَرَّبْتُ^(١) بَيْتِي وَبَيْتَ غَيْرِي وَأَصْلُ ذَا كَعْبُكَ الْمَدْوَرُ

قافية السين

وقال الحمامي^(٤):

وَقَدْ كَانَ مَحْمَرٌ الشَّفَاهِ فَلَمْ أزلْ أَقْبَأُهُ حَتَّى غَدَا وَهُوَ الْعَسُ

قافية القاف

وقال^(٥):

مَاذَا يَضْرُكُ لَوْ سَمَحْتَ بِزَوْرَةٍ وَشَفَعْتَهَا بِكُمْ أَرَامِ الْأَخْلَاقِ
وَرَدَعْتَ نَفْسَكَ حِينَ تَمْنَعُكَ اللَّقَا وَتَقُولُ: هَذَا آخِرُ الْعَشَاقِ

وقال^(٦):

أَحَبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيَّ وَمَا حَوَتْ غَزَالَ تَبَدَّى لِي بِكَأْسِ رَحِيقِ
وَقَدْ شَهِدْتُ لِي سِنَّةُ اللَّهِ وَآتَنِي أَحَبُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ كُلِّ عَتِيقِ

(١) التخریج: الوافي بالوفيات، ١٠٤/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٥/٥، الغيث المسجم، ٢٢٦/٢، فوات الوفيات، ٢٠٦/٤، عقد الجمان، ٣٣٤/٤، خزانة الأدب، ٦٠/٢، كشف اللثام، ص٢٥، الأزهری، مستوفى الدواوين، ٢٨٢/١، حلبة الكميت، ٢٨٢.

(٢) ورد هذا الشطر في فوات الوفيات: أقول والكأس قد تبَدَّتْ، وفي الغيث المسجم وخزانة الأدب وكشف اللثام: تبَدَّى، وفي مستوفى الدواوين: مذ تبَدَّى.

(٣) في مستوفى الدواوين: أخربت.

(٤) ابن نباتة، مطلع الفوائد ومجمع الفرائد، ص١٢٩.

(٥) التخریج: الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٦/٥، فوات الوفيات، ٢٠٦/٤-٢٠٧، يعلق الصفيدي علي البيهقي "يعرض بشخص يُعرف منسوباً إلى الرقة، وورى بالرق الذي يُكتب فيه، قال الله تعالى: "في رق منشور..." فض الختام، ص٢١١، عقد الجمان، ٣٣٤/٤.

(٦) التخریج: الوافي بالوفيات، ٣١٨/١-٣١٩، خزانة الأدب، ١٣٤/٢، كشف اللثام، ص٧٨.

وقال^(١):

مذ احضرتني زوجتي حاكماً اذكرت ما قد كان من حقي
فاخرجت رقّ صدادق لها ردّ كلام الكليل في حلقي
وكان ذلك الرقّ اصل البلا فلعنة الله على الرقّ

وقال^(٢):

رأيت فتى يقول بشطّ مصر على درج بدت والبعض غارق
متى غطى لنا الدرّج استقمنا فقلت: نعم وتنصّلح الدقائق^(٣)

قافية الفاء

وكتب الحمّامي إلى السراج الوراق "ملغزاً في نعمة"^(٤):

ومفرد جمعاً يُرى بحذف بعض الأحرف
اسم "نعا" أكرهه فقال باقيه الكُف
تراه يعدو مسرعاً في برده المفوف

"وكتب النصير إلى الوراق ملغزاً في ديك"^(٥):

أيامن لديه غامض الشّعر يُكثّف ومن بدره بادي السنن ليس يُكسّف
عساك هدى لي إني اليوم ذاهل عن الرشد فيما قد أرى متوقّف
أرى اسماً له في الخافقين ترفعُ أخا يقظة ذكرأ ولا يتعقّف

(١) التخرّيج: أعيان العصر، ٣٥٣/٤، فض الختام، ص ٢١١.

(٢) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٧/٥، فض الختام، ص ٢٠٨، فوات الوفيات، ٢٠٧/٤، عقد الجمان، ٣٣٥/٤.

(٣) الدرّج والدقائق وحدات استعملت في العصر المملوكي لقياس منسوب النيل. انظر أعيان العصر، ٥٠٧/٥ حاشية رقم ١.

(٤) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١١٤/٢٧، أعيان العصر، ٥١٦/٥، فوات الوفيات، ٢١٣/٤.

(٥) التخرّيج: الوافي بالوفيات: ١١٣/٢٧-١١٤، أعيان العصر، ٥١٥/٥، فوات الوفيات، ٢١٢/٤.

رأيتُ بها^(١) الأشياءَ تبدو وضدّها فكاد^(٢) لهذا الأمر لا يتكَيَّفُ
 فعرفهُ ذو السَّمْعِ وهو مُنْكَرٌ ونَكَرَهُ ذو الألبِّ وهو مُعْرِفٌ
 فجوابٌ لأحظى بالجوابِ فإنَّهُ إذا جوابَ المولى العبيدَ يُشرفُ

قافية الكاف

قال^(٣):

لا تفهُ ما حييتَ إلا بخيرٍ ليكونَ الجوابُ خيراً لديكاً
 قد سمعتَ الصّدى وذاكَ جمادُ كلَّ شيءٍ تقولُ ردُّ عليكاً

قافية اللام

وكتب جواباً على رسالة بعث بها إليه الشاعر ناصر الدين حسن ابن النقيب^(٤):
 أيامن له بالطب^(٥) علمٌ مباشرٌ وماكلٌ ذي قولٍ له القولُ والفعلُ
 أتيتَ بطبٌ قد حوى البيعَ والشّرى بيّين^(٦) لي في ذلكَ الخرجُ والدخُلُ
 وإن كنتانَ ذا سهلاً بطبّك إنّه^(٧) بسقمي صعبٌ ليسَ هذا به سهلُ
 فلا عديمَ المملوكِ منكِ مداوياً وما زالَ للمولى على عبده الفضلُ

"ومن لطائفه، ما كتب به إلى السراج الوراق على يد مليح وأسانه^(٨):"

- (١) في أعيان العصر وفوات الوفيات: به.
- (٢) في أعيان العصر: فكان.
- (٣) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٣/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٤/٥، فوات الوفيات، ٢٠٥/٤، سلوة حزين في موت البنين، ص٩٨، عقد الجمان، ٣٣٤/٤.
- (٤) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٨-١٠٧/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٩/٥، فوات الوفيات، ٢٠٩/٤.
- (٥) في فوات الوفيات: في الطبّ.
- (٦) في أعيان العصر وفوات الوفيات: تبيّن.
- (٧) ورد هذا الشطر في أعيان العصر: وإن كان لي بطبّك إنّه.
- (٨) خزنة الأدب، ٦٠/٢، كشف اللثام، ص٢٥، مطالع البدر، ٣٧/١.

عبدك يا مولاي وافي بها ولي^(١) بها معنى لمن يعقل^(٢) وهو على الباب ومقصوده وفيك فهم أنه يدخل

قافية الميم

"وكتب النصير إلى الوراق وعنده أحمد الموصلي الزجال^(٣):"

عندنا من غدا بُحْبُكْ مُغْرَى وَلَهُ فَيْتُكَ عَشْقَةٌ^(٤) وَغَرَامُ
موصلي يهوى الملاح إذا ما جاء صُبْحُ اللَّحَى وولى الظلام
فهو لا ينتهي عن الشَّيْبِ بالشَّيْبِ بِ فَمَاذَا تَقُولُ يُجْدِي الملام
لا يُسْأَلِي^(٥) مِنْهُ الفؤادُ نِدَامًا^(٦) عَنْ حَبِيبٍ وَلَوْ تَغْنَى الحمّام
لو تبتدئ لعينه ابن ثمانين من غدا وهو عاشقٌ مُسْتَهَام
يستتبه من العيون بياضٌ ومن الألعس الشَّفاهُ ابْتَسَامُ
قر عيناً وطب فديك نفساً عنده أنت أنت بدرٌ تَمَامُ

قافية النون

وكتب الحمّامي "يستدعي صديقاً إلى حمّامه^(٧):"

- (١) في خزنة الأدب: وفي.
(٢) ورد في مطالع البدر: "وللنصير الحمّامي بيتان كتبهما إلى السراج الوراق على يد غلام يدعى إبراهيم وهما:
(٣) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١١٥/٢٧، أعيان العصر، ٥١٦/٥، فوات الوفيات، ٢١٣/٤، والبيتان ٤، ٦ غير موجودين فيه.
(٤) فوات الوفيات: لوعة.
(٥) في أعيان العصر: تسلي.
(٦) في أعيان العصر: مدام. وورد البيت في حدائق النمام: تراعي نجوماً فيك من نار قلبها وتبكي بدمع فأنض كحزين
(٧) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٧/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٨/٥، الكشف والتنبيه، ص ٤٠٦، فوات الوفيات، ٢٠٨/٤، الدرر الكامنة، ٢٤٢/٤، عقد الجمان، ٣٣٦/٤، مطالع البدر، ٣١٩/٢، حدائق النمام، ص ١٩٣.

من الرأى عندي أن تُواصلَ خَلْوَةً لها كَبِدٌ حَرَّى وفيضُ عيون
 تُراعي نجوماً فيكَ من حرِّ قلبها وتبكي بدمعي قارح^(١) وحزين^(٢)
 غدا قلبها صَباً عليك^(٣) وأنت إن تأخرت أضحى في حياض مَنون^(٤)
 قال نصير الدين الحمامي ردا على شعر أرسله إليه ناصر الدين بن النقيب ملغزا في
 الياسمين^(٥):

لعرض مولانا وأنفاسه ألعزت لى حقاً بلامين
 اسم سداسي لطيف به نحافة تظهرو للعين
 لكأنه يغردو سميناً إذا أسقطت من أوله حرفين
 قال الحمامي^(٦):

واعجباً من عاذلي في الهوى لم تنهه وعَظاً أجفاني
 وطرقي البغاء مما رأى يوم النوى والدمع مرجاني

وقال في الزلابية^(٧):

أحبُّ التي في الصدر موضعها تصدَّت إلى صدي وإن بعُدت عني
 ولو حملاً لثني خُفها حملتُه وأعشفتها لوقطعتُه على ذقني
 ومن لطائف النصير الحمامي قوله في الليمون^(٨):

(١) في أعيان العصر وفوات الوفيات وعقد الجمان: بدمع. وفي أعيان العصر والكشف والتنبيه: فارح.

(٢) ورد البيت في مطالع البدر: تراعي نجوماً فيكَ من نار قلبها وتبكي بدمع فائض كحزين

(٣) في فوات الوفيات: إليك.

(٤) ورد هذا الشطر في الكشف والتنبيه: تأخرت عنها في حياض منون.

(٥) التخريج: حسن المحاضرة، ٣٥٤/٢.

(٦) الصفدي، تشنيف السمع بانسكاب الدمع، ص ١٢٩.

(٧) الكشف والتنبيه، ص ٣٩٧.

(٨) التخريج: نزهة الأنام، ص ٣٣٤، ابن كنان، المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية، ٣٣٠/٢، خير

الدين شمسي، ديوان الرياض والأزهار، ١٤١/٣.

أهدى إليّ الطيّب ليْمونَة لا زلتُ ذا شُكر لإحسانه
صُفرتُها تحكي اصفراري به وطعمُها من طعم هجرانِه
قال الصفدي: "أنشدني الحافظ الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن سيّد الناس
قال: أنشدني النصير الحمّامي لنفسه^(١):
رأيتُ شخصاً أكَل^(١) كِرْشَة وهو أخو ذوق وفيه فِطْنُ
وقال: ما زلتُ محبّاً لها^(١) قلتُ^(٢): من الإيمان حبّ الوطن
وقال في الليمون^(٥):

ليْمونُنّا هذا الذي قد بدا يأخذُ من أشرفه بالعيان
كأنّه بيضُ دجاج وقد لَطخه العابتُ بالزعفران
"ومن شعر النصير دوبيت^(٦):

في وجهك للجمال والحسن فنونٌ في طرفك للسّحر فتورٌ وفُتونٌ
إني أسلو^(٧) هوأك يا مَنْ باتت عيناؤه تقول للهوى: كُنْ فيكون

- (١) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٦/٢٧، أعيان العصر، ٣٣٩/١، ٥٥٣/٤، فوات الوفيات، ١٢٩/١، ٢٠٧/٤، عقد الجمان، ٣٣٥/٤، خزانة الأدب، ٦٠/٢، كشف اللثام، ص ٢٥-٢٦.
(٢) في أعيان العصر، وفوات الوفيات، وعقد الجمان، وخزانة الأدب، وكشف اللثام: أكأ.
(٣) في أعيان العصر ٣٣٩/١: بها.
(٤) في أعيان العصر، ٥٥٣/٤: فقلت.
(٥) التخرّيج: نزهة الأنام، ص ٣٣٤، المواكب الإسلامية، ٣٣٠-٣٣١/٢، خير الدين شمسي، ديوان الربيع والأزهار، ١٤١/٣.
(٦) التخرّيج: الوافي بالوفيات، ١٠٨/٢٧، فوات الوفيات، ٢٠٩/٤، عقد الجمان، ٣٣٦/٤، السيوطي، كتاب تحفة المجالس ونزهة الجالس، ص ٢٣٢.
(٧) في عقد الجمان: أتى يسلو.

قافية الهاء

قال نصير الدين^(١):

أشكو إلى الله زماني الذي قَدْ خَصَّ بالبُخْل أهْيادَهُ
لو حَمَدَ العاطِسُ لم يسمَحُوا بقلهم يَرْحَمُ أَكَّ اللهُ

وكتب إلى السراج الوراق "مُلَعَّرًا في نون"^(٢):

ما اسمٌ ثلاثِيٌّ يُتَرى واحداً وقد يُعَدُّ اثنيْنِ مَكْتُوبُهُ
يظهرُ لِي من بَعْضِهِ كُلهُ إذ كَلَّ حَرْفٍ مِنْهُ مَقْلُوبُهُ
أضفُ ثمانِيْنَ إلى سِتِّةٍ إن شِئْتِ لا يَعدوك^(٣) محسوبةً
أطْبَبُهُ في البَرِّ وفي البَحْرِ لا فِاتَ حَجِي مَوْلَايَ مَطْلُوبُهُ

وكتب الحمامي إلى سراج الدين الوراق^(٤):

أيها المُحسِنُ الذي وَهَبَ اللُّهُ تَعَالَى الحُسنى لهُ وزيادَهُ
ضاعَ ما كانَ مِنْ وُصُولاتِ وِصلي فَتَصَدَّقْ بِكُتُبها لِي مُعادَهُ
أينَ تَلِكَ الطُّروسُ نَظْمًا ونَثراً مِنْكَ تَأْتِي عَلى سَبيلِ الإِفاذَهُ
كَلَّ طِرسٌ يُجلى عروساً بَدراً الـ قَولَ كَمَ مِنْ عَقْدِ وِكمَ مِنْ قِلادَهُ
كانَ عَيْشي^(٥) إذا أَتاني رَسولُ مِنْكَ يُحِيي خِلاً أَمَتٌ وِدادَهُ
رَسولُ

شَهِدَ اللهُ لِي لِي غيرُ ذِكرِ أَكَّ وإِلا خَرَسَتُ عِنْدَ الشَّهادَهُ

وكتب إلى السراج الوراق^(٦):

-
- (١) الدمياطي، نزهة الأديباء وتحفة الظرفاء، ص ١٤٢.
(٢) التخريج: الوافي بالوفيات، ١٠٩/٢٧-١١٠، أعيان العصر، ٥١٠/٥، فوات الوفيات، ٢١٠/٤.
(٣) في فوات الوفيات: أضعف بدل أضف، يعدوك بدل يعددك.
(٤) التخريج: الوافي بالوفيات، ١١١/٢٧، أعيان العصر، ٥١٢/٥، فوات الوفيات، ٢١١/٤.
(٥) في فوات الوفيات: عيسى.
(٦) التخريج: الوافي بالوفيات، ١١٢/٢٧، أعيان العصر، ٥١٣/٥.

يا أيّها المولى السرا جُ وماجداً أعلّى منارة
 يا مَنْ تجاوزَ فضأه حدّ القياس مع العبارة
 يا مَنْ يلوخُ بوجهه حسنٌ لناظره نضارة
 يا بدرَ تمّ كم عليّ ه غدت من الفضلاء دارة
 كم في الورى معنى تثيراً^(١) ويرُ ولم أقل طوراً وتارة
 وإذا مدحناه فمها فيه صفاتٌ مستعارة
 لمبشّرٍ ري إن زرتني بشري ويحظى بالبشارة
 يا واعدى في السبب ه ذا السببُ جاء وشنّ غارة
 متصدّقاً زرتني فذا يومُ التصدّق والزيارة

وكتب النصير الحمّامي جواباً على رسالة بعث بها إليه ناصر الدين حسن ابن النقيب^(٢):
 رُحمك يا خير مولى ففى العتاب عقوبته
 وأننت إن زدت عتباً يغدو غلامك قوبة^(٣)
 والعبدُ ما زال يهوى لا بل يُحب الرطوبة
 تموز فرك والعبدُ فكره فيك طوبة^(٤)
 ودخل الحمّامى على القاضي بدر الدين محمد ابن جماعة^(٥) "يسأل صرف مرتبه على
 الأوقاف، فامتنع من صرفه، فخرج عنه وأتاه بدرج ورق فيه مائة وصل وبأوله:

(١) في أعيان العصر: تنبير.
 (٢) التخرىج: الوافى بالوفيات، ١٠٨/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٩/٥.
 (٣) القوبة: تقلع الجلد من الجرب، وانحلاق الشعر، وملازمة الدار.
 (٤) طوبة: أحد شهور القبط. انظر أعيان العصر، ٥١٠/٥.
 (٥) ولد في حماة سنة ٦٣٩هـ، وتوفى سنة ٧٣٣هـ، درس بالقيصرية بدمشق، وتولى قضاء القدس، وخطبتها،
 وتدرىس المدرسة الصالحية، وخطابة الأزهر، وقضاء دمشق، وخطابة الجامع الأموى، وتولى غير مرة
 قضاء القضاة في القاهرة، ثم خطابة الجامع الناصرى، "وكان رئيساً متودداً لئن الأخلاق، عفيفاً عن
 الأموال". المقفى الكبير، ٨٩/٥-٩٤.

قاضي القضاة المقدسة _____ سي صحب الأمور المطاعة
سألته عن أبيته فقَالَ أَنَا ابْنُ جَمَاعَةَ
فنظر إليه ثم أطرق، ووصله بمال وثياب، وتغاضى عنه^(١)
"وكتب النصير إلى الوراق مع ظروف يقطين في فرد^(٢):"^(٣)
يَا مَنْ لِدَفْعِ الرَّدَى غَدَا جُئْتُ وَمَنْ لَهُ فِي قَبُولِهَا الْمِنَّةُ
هَدِيَّةٌ فِي الْإِنْعَاءِ يَتَّبِعُهَا خَيْرُ نَبِيٍّ وَهَكَذَا السَّنَّةُ^(٤)
إِذَا بَدَا ظَرْفُهَا يَغْلُظُتْهُ يَوْدٌ فَتَحُّ الْأَدْيَابُ لَوْ أَنَّ

قافية الياء

قال الصفدي "وأشدني القاضي جمال الدين.. قال: أشدني النصير الحمامي لنفسه^(٥):
وَمُدَّ لَزِمْتُ الْحَمَامَ صَرْتُ فَتَى^(٦) خَلَا^(٧) يَدَارِي مَنْ لَا يَدَارِيهِ
أَعْرَفُ حَرَّ الْأَشْيَاءِ^(٨) وَبَارِدَهَا وَأَخَذُ الْمَاءَ مِنْ مَجَارِيهِ

- (١) التخریج: الدرر الكامنة، ١٧٢/٣، المقفى الكبير، ٩٣/٥.
(٢) يقول إحسان عباس في شرح لفظة فرد: "وأظنها تعني الجوالق الضخم، وفي عامية بعض القرى الفلسطينية" فردة، "ولعلها سميت كذلك لأنها أحد شقي الحمل على الجمل أو غيره". فوات الوفيات، ٢١٥/٤، حاشية "٢".
(٣) التخریج: الوافي بالوفيات، ١١٦/٢٧، أعيان العصر، ٥١٨/٥، وفي فوات الوفيات ورد البيتان الأول والثاني، ٢١٥/٤.
(٤) ورد هذا البيت في فوات الوفيات: هدية في الإناء تتبعها خير ثناء وهكذا السنة.
(٥) التخریج: الوافي بالوفيات، ١٠٥/٢٧. وهذه الأبيات أرسلها الحمامي إلى الشاعر أبي الحسين الجزار. انظر الوافي بالوفيات، ١٠٦/٢٧، أعيان العصر، ٥٠٧/٥، فض الختام، ص ١٣٠، فوات الوفيات، ٢٠٧/٤، الدرر الكامنة، ٢٤١/٤، الدليل الشافي، ٧٦٠/٢، عقد الجمان، ٣٣٥/٤، خزنة الأدب، ٥٨/٢، كشف اللثام، ص ٢٤، مطالع البدر، ٣١٩/٢، الكشكول، ١٨٨/٢، حدائق النمام، ص ٩٨، ابن معصوم، أنوار الربيع في أنواع البيوع، ص ٥٥٤.
(٦) في فض الختام وخزانة الأدب وكشف اللثام وأنوار الربيع: بها، وفي الدرر الكامنة: في
(٧) في مطالع البدر، وحدائق النمام: فتى لطف.
(٨) في الكشكول: الأسى، وفي الدرر الكامنة، وعقد الجمان، وخزانة الأدب، وكشف اللثام، وحدائق النمام: الأشياء.

الفنون المستحدثة

الدوبيت^(١)

لنصير دوبيت^(٢):

إِنْ عَجَّلَ النُّورُ^(٣) قَبْلَ الوفا عَجَّلَ للعالمَ صَفْعَ القفا
فقد كفى من دمعهم ما جرى وما جرى من نيلهم ما كفى

"ومن شعر النصير دوبيت^(٤):

في وجهك للجمال والحسن فنون في طرفك للسحر فتور وفتون
إنّي أسلو^(٥) هوالك يا من باتت عيناه تقول للهوى: كُنْ فيكون

الأزجال

من أزجاله قوله " يصف حمّامه^(٦):

حمّام الأديب العارف ما يجري وحالو واقف بها
بها أسطول^(٧) وما بها^(٨) أسطال^(٩)

(١) فارسيّ الأصل، والاسم مركب من لفظتين دو الفارسية، ومعناها اثنان، وبيت العربية، فيكون المعنى ذا البيتين، ويتألف من أربعة أشطر، مقفأة بقافية واحدة، وله وزن خاص: فَعْلُنْ مُنْفَاعِلُنْ فَعولُنْ فَعْلُنْ، وقد تكون قافية البيت الثالث مخالفة، وهو قليل". محمد الشوابكة، أنور أبو سويلم، معجم مصطلحات العروض والقافية، ص ١١٤.

(٢) التخریج: الوافي بالوفيات، ١٠٨/٢٧، فوات الوفيات، ٢٠٩/٤، عقد الجمان، ٣٣٦/٤، حسن المحاضرة، ٣٠٥/٢، بدائع الزهور، ج١ق١/٤٢٤. ومناسبة هذا الدوبيت أنه في سنة ٧٠٩ هـ توقف النيل عن الوفاء، " فضجّ الناس، وتشحطت الغلال، وارتفع الخبز في الأسواق، واضطربت الأحوال جداً ". بدائع الزهور، ج١ق١/٤٢٤، وانظر النجوم الزاهرة، ١٩٢/٨.

(٣) في حسن المحاضرة: النيروز.

(٤) التخریج: الوافي بالوفيات، ١٠٨/٢٧، فوات الوفيات، ٢٠٩/٤، عقد الجمان، ٣٣٦/٤، السيوطي، كتاب تحفة المجالس ونزهة الجالس، ص ٢٣٢.

(٥) في عقد الجمان: أئى يسلو.

(٦) التخریج: الوافي بالوفيات، ١١٧/٢٧-١١٨، أعيان العصر، ٥١٩/٥، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ٢١٥-٢١٦، المنهل الصافي، ٣/٢٦٣ ما عدا الدور الرابع والخامس، أحمد عطا محمد، ديوان الموشحات المملوكية في مصر والشام، ص ٤٢-٤٤.

(٧) يقصد جموع الناس.

(٨) في فوات الوفيات: فيه.

(٩) يقصد الدلاء.

والما يترنُّ بالقسطال^(١)
 والعُمَّال رأيتُ و بطال والإس كندراني ناشف
 وما ريتُ فيها بلان^(٢)
 يسرَّح لحدُّ بالإحسان
 والزبَّال يُعرِّ القوسان قال والخاتمة يصاليف^(٣)
 دي^(٤) دونه وقيمه دون
 مبنية على مية مجنون
 والمافي المجاري مخزون والأنبوب معوَّج تالف
 وتابوت على فسقية
 قلتو مت بالكايه
 خذوا من نصير الذية وإلا اثنيان^(٥) تتناصف^(٦)

الموشحات

من موشحاته ما كتبه إلى سراج الدين الوراق^(٧):
 اهوى رشافي مهجتي مرتعة افديه ريب
 لابل قمرافي ناظري مطالعة ليم يمدر مغيب
 حقف وهلال وغزال وغصن
 إن قمام وإن رننا وإن لاح وإن
 والمؤمن كيس كما قيل فطين

- (١) "أنبوب من الخزف أو غيره يجري فيه الماء". فوات الوفيات، ٢١٥/٤، حاشية "٦".
- (٢) "الصبي الذي يخدم الحمام". فوات الوفيات، ٢١٦/٤، حاشية "١".
- (٣) في فوات الوفيات " يتصالف".
- (٤) في أعيان العصر وفوات الوفيات: ذي.
- (٥) في فوات الوفيات: اثنيان.
- (٦) في أعيان العصر: ولا اثنيان متناصف.
- (٧) التخريج: الوافي بالوفيات، ١١٨/٢٧-١١٩، فوات الوفيات، ٢١٦/٤-٢١٨، ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ٢٦٣/٣ ما عدا الدور الرابع والخامس، أحمد عطا، ديوان الموشحات المملوكية، ص ٤٢-٤٤.

قلبي ابداً إلى محيَاة يحنّ
 ما ابعدة وفي الحشا موضعة نائبي وقريب
 قد راق به شعري لمن يسمعة إذ كان حبيب
 يا خجلة غصن البان لما خطرا
 يا حيرة بدر التّم لما سفرا
 يا غيرة ظبي الرّمّل لما نظرا
 يا رخص^(١) فتيق المسك لما نترا
 من لؤلؤ نثره لمن يجمعه زاهٍ ورطيب
 ما أسعد ما اعيا في تصنعه^(٢) عقدا لتريب^(٣)
 دعني فحديث العشق إفك ومرا
 عندي إفك الزمان والحق أرى^(٤)
 مدحي لسراج الدين نور الشعرا
 والكاتب عند الامرا والوزرا
 كم فيه فضيلة غدت^(٥) ترفعة عن قدر اديب
 والله بما قد حازة ينفعه^(٦) والله مجيب
 معنى شعري^(٧) وفلق مغنى^(٨) كرما
 تلقاه إذا نحنوته في العلمما
 المفرد في زمانه والعلمما

- (١) في فوات الوفيات: يا رخص عوالي فتيق المسك... والمنهل الصافي: يا رخص عوالي.. وبها ينكسر الوزن.
 (٢) في المنهل الصافي: من يصنعه.
 (٣) في فوات الوفيات: ما أسعد ما أغنى فتى. وفي المنهل الصافي: عقد الترتيب.
 (٤) في فوات الوفيات: عندي أبد الزمان والحق أرى.
 (٥) في فوات الوفيات: له.
 (٦) لفظتان غير موجودتين في فوات الوفيات.
 (٧) في فوات والمنهل الصافي: معنأ، ويقصد به معن بن زائدة المشهور بكرمه. انظر ديوان الموشحات المملوكية، ص ٤٣، حاشية رقم ٥.

وكن ممتثلاً مرسومة إن رسماً
 فالفضل إليه كلمة مرجعة والراي مصيب
 لولا عمر^(١) الفضل عفت أربعة او كنان غريب
 بالفرع غدت في شفق الخدين
 كالبدري يلوح نوره للعين
 لمياء رماها هاجري بالبين^(٢)
 عنثة^(٣) وقد فارقتها يومين
 قد غاب ولي^(٤) يومين ما اقتسعة خلوة يغيث
 لوراح إلى نجد اننا اتبعه حتى لوصيب
 ومن موشحاته^(٥):
 فكمن الإسراف اسرى في كفيه من خطر
 عقلي وحكمو الجاني الجاني ركوبة الغرر
 ازرى الجبين الخالي بالخال ممن قد اعتدى
 إذ فبق بالكمال كمالني اشفي وانكدا
 ممن اتتة الدوالي دوالي قلبي من الردى
 ومد بذلت مالي اومالي باللحظ إذ نظر
 وقبال إذ لوى للوالي يرفع له الخبر
 يا غصن بان مائل يامائل عنني لتقوتني
 ارث لدمني السائل ياسائل عن حال قصتي
 لا تطع العاذل ياعاذل وارفق بمهجتني

(١) يقصد السراج الوراق.

(٢) في فوات الوفيات والمنهل الصافي: لما رُميْتُ من هاجري بالشين.

(٣) في فوات الوفيات: غنته.

(٤) في فوات الوفيات: ولي.

(٥) التخريج: فوات الوفيات، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ٢/٦٠٥-٦٠٦.

وإن تزدنني قائل في قائل افوز بالظفر
يا منتهى امالي امالي في الحب من مجير
ارث لجسمي البالي يا بالي وارحم فتى اسير
فقد بذلت الغالي يا غالي في القدر يا امير
وفيك قد القى لسي يا قالي لهجرك الضرر
وقطعت اوصالي يا صالي تقنا في سقر
إن جرت بين السرب فسرب بي عن حيم قلب
ومل بهم وعج بي فعجبي قلبي بهم بخيل
وقف بهم يا صاحبي وصح بي ابكوا على القليل
وإن تقضي نحبي فنجح بي في السهل والسور
وانزل بهم والطف بي وطف بي في البدو والحضر
لم انس إذ غناني اغناني والليل قد هوى
وقال إذ حيانني احيانني روحني لك الفدا
واهتز بالاردان اردانني اذ فقام منتدا
وطاننر الافنان افنانني اذ نباح في السحر
وهاتف الادان ادانني اذ نبه البشور
امال داني الراقى ممن راق فدرنا على الانام
زهنا بحسن الساق والساقى من ريقه المدام
به فؤادي بساق والبساقى في لجة الغرام
وسنة الخلاق اخلاقى بالصبر إذ هجر
ولذة المذاق مذاقى في حبه والسهر
هل من يسعي في إسعافى بالقرب من رشا؟
إن سأل بالارداف اردا فى قلبي مع الحشا
مكمل الاوصال اوصى فى قناتى وادهشا
يا طلعه الهلال هلالى فى الحب منتظر

يا غايه الاممال امالي من الهوى مفر

خاتمة

بعد هذه الجولة في حياة في الشاعر نصير الدين الحمّامي، وما جمع من شعره، يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

١. نالت شخصية الشاعر نصير الدين الحمّامي عناية المؤرخين والنقاد العرب القدامى، فخصّصوا له ترجمات مستفيضة.
٢. تبين من البحث أن أغلب المصادر أجمعت أن اسمه نصير الدين المناوي، وبعضهم ذكر اسمه النصر، ونسبوه إلى مصر، فقالو المصري، أو الحمّامي، نسبة إلى عمله في اكتشاف الحمّامات. واختلفوا في تاريخ ميلاده، فتفرّقوا ما بين قائل سنة ٦٠٩ هـ، وقائل: ٦٦٩ هـ، وقائل: ٦١٥ هـ. وأشاد المؤرخون بأخلاقه وظرافته وفضائله. وذكروا أنه كان يسترزق بعمله في ضمان الحمامات، شأنه شأن أرباب الحرف في عصره من الشعراء، الذين أوصدت أبواب السلطنة المملوكية في وجوههم. وأشاروا إلى أنه كان عامياً، وهي لفظة تدل على صاحب الثقافة القليلة في العصر المملوكي، ولكنهم بينوا أنه كان متميزاً في عالم الأدب. وتبين من البحث أن الشاعر كانت له علاقات متنوّعة مع أبناء عصره بشرائحهم المختلفة، فرضتها شاعريته وطبيعة عمله في الحمامات، كانت له علاقة بالشعراء والأدباء، وكانت بينه وبينهم مراسلات شعرية، تعبّر عن الود وعمق العلاقة. وتبين أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ وفاته، فقول: ٧٠٣ هـ، و ٧٠٤ هـ، و ٧١٢ هـ.
٣. بين البحث مكانة الحمّامي الشعرية، فقد أشاد به نقاد عصره، وشعراؤه، وأثنوا على شاعريته، فكثرت العبارات التي تدل على هذه المكانة، وكشف البحث عن أن أكثر أشعاره مقطّعات، وأنه نظم إلى جانب الشعر في الموشّح والزجل والدوبيت، وأنه ليس له ديوان معروف مشهور بين أبناء عصره، وقد بلغ حجم ما وصل من شعره ١٣٢ بيتاً، وجميعها مقطّعات، فضلاً عن دوبيتين، وموشحين، وزجل واحد، وتبين من أشعاره تنوّع أغراضه الشعرية، فمنها الاجتماعي، والهجاء، والحنين، والإخوانيات، والوصف، والغزل، والحكمة، والألغاز. وكشف البحث أن الحمّامي كان أحد رواد التورية في عصره، وكان لحرفته في الحمام نصيب كبير فيها، وأنه استجدى بشعره في أخريات حياته. وأكدّ البحث أن للشاعر تأثيراً في بعض كبار الشعراء في عصره، الذين تلمذوا له، وأخذوا عنه، ومنهم الشاعر جمال الدين بن نباتة المصري.

المصادر والمراجع

المصادر

- أحمد بن محمد الكوكباني القاضي شهاب الدين. (١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م). حدائق النمام في الكلام على ما يتعلّق بالحمّام، تحقيق: عبد الله محمد الحبشي. ط٢. الدار اليمينية للنشر والتوزيع. توزيع دار المناهل ببيروت.

- الأزهرى، محمد بن عبد الله. (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). مستوفى الدواوين. تحقيق: زينب القوصي. وفاء الأعرس. إشراف ومراجعة: حسين نصار. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية. القاهرة.
- ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي. (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م). بدائع الزهور في وقائع الدهور. حققها: محمد بن أحمد الحنفي. ط٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.
- البدرى، أبو البقاء عبد الله بن محمد. (١٣٤١هـ). نزهة الأنام في محاسن الشام. المطبعة السلفية. القاهرة.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي.
* الدليل الشافي. ط٢. دار الكتب المصرية. القاهرة. ١٩٩٨م.
- * المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. ج٣. تحقيق: محمد محمد أمين. الهيئة العامة المصرية للكتاب. القاهرة. ١٩٨٦م.
- * النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة. قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ابن حجة الحموي. تقي الدين أبو بكر علي:
* خزانة الأدب وغاية الأرب. شرح: عصام شعيتو. منشورات دار ومكتبة الهلال. بيروت. لبنان.
* كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام. المطبعة الأنسية. بيروت. لبنان. ١٣١٢هـ.
- ابن حجر العسقلاني، شعاب الدين أحمد بن علي. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. ضبطه وصححه: الشيخ عبد الوارث محمد علي. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ابن أبي حجلة. سلوة الحزين في موت البنين. تحقيق وتقديم: مخيمر صالح. دار الفيحاء. عمان. الأردن.
- خير الدين شمسي باشا. (١٩٩٩م). ديوان الرياض والأزهار والأثمار. منشورات وزارة الثقافة. سوريا. دمشق.
- الدميّاطي، بدر الدين. (٢٠١١). نزهة الأدباء وتحفة الظرفاء. حققه وعلّق عليه: محمد فؤاد أبو شهدة، عبد الستار فوزي الغنيمي. ط١. دار الكتب العلمية، بيروت.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن عثمان. معجم شيوخ الذهبي. تحقيق وتعليق: روحية عبد الرحمن السيوفي. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- السبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. ط٢. دار المعرفة. بيروت. لبنان. معبد النعم ومبيد النقم. ط١. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت. ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر .
* تحفة المجالس ونزهة المجالس. ط١. مكتبة الإيمان. ٢٠٠٦م.
- * حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مصطفى فهمي الكتبي، القاهرة. ١٣٢١هـ - ١٩٠٣م.
- * منهل اللطائف في الكنافة والقطايف. تحقيق: محمود نصار. وأحمد عبد التواب عوض. ط١. دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير. القاهرة. ١٩٩٤م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك:
* أعيان العصر وأعوان النصر. حققه: علي أبو زيد. نبيل أبو عمشة. محمد موعد. محمود سالم محمد. قدم له: مازن عبد القادر المبارك. ط١. دار الفكر المعاصر. بيروت. لبنان. دار الفكر. دمشق. سوريا. ١٤١٨-١٩٩٨م.
- * تشنيف السمع بانسكاب الدمع. تحقيق وتعليق: محمد عايش. ط١. الأوائل. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- * صرف العين. دراسة وتحقيق: د. محمد عبد المجيد لاشين. ط١. دار الأفاق العربيّة، مدينة نصر، القاهرة. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- * الغيث المسجم شرح لامية العجم. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- * الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه. حققه وعلق عليه: د. هلال ناجي. وليد أحمد الحسين. ط١. تصدر هذه السلسلة عن مجلة الحكمة الصادرة في بريطانيا. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- * فض الختام عن التورية والاستخدام. دراسة وتحقيق: الحمدي عبد العزيز الحناوي. دار الطباعة المحمدية. القاهرة. ١٩٧٩م.
- * الوافي بالوفيات. الجزء الأول. ط٢. باعثناء هلموت ريتز. يطلب من دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن. ١٣٨١هـ - ١٩٩٢م.
- * الوافي بالوفيات. ج٤. باعثناء س ديدرنغ. دار النشر فرانز شتاينر بفيسبادن. ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- * الوافي بالوفيات. ج٢٧. باعثناء أوتفريد فاينترت. يطلب من الشركة المتحدة للتوزيع. بيروت. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- العاملي، بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد. (١٩٨٣م). الكشكول. ط١. دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- العيني، بدر الدين محمود. (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الغزولي، علاء الدين علي بن عبد الله البهائي. (١٣٠٠هـ). مطالع البذور ومنازل السرور. ط١. مطبعة غدارة الوطن. القاهرة.
- الكتبي، محمد بن شاكر.
- * فوات الوفيات. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية.
- * فوات الوفيات. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت. ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م.
- ابن كنان الصالحي، محمد بن عيسى الدمشقي. المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية. تحقيق ودراسة: د. حكمت إسماعيل. مراجعة: محمد المصري. منشورات وزارة الثقافة. سوريا. دمشق. ١٩٩٣م.
- المقرزي، تقي الدين أحمد بن علي.
- * إغاثة الأمة بكشف الغمة. دراسة وتحقيق: كرم حلمي فرحات. ط١. عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية. مصر. ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- * كتاب المقفى الكبير. تحقيق: محمد اليعلاوي. ط١. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمد. (١٩٦٨م). أنوار الربيع في أنواع البديع. تحقيق: شاكر هادي شكر. مكتبة العرفان. كربلاء.
- ابن نباتة، جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد المصري الفارقي. (١٩٧٢م). مطلع الفوائد ومجمع الفرائد. تحقيق: عمر موسى باشا. مجمع اللغة العربية بدمشق.
- النواجي، شمس الدين محمد بن الحسن.
- * حلبة الكميت في الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات. ط١. الهيئة العامة لقصور الثقافة. القاهرة. ١٩٩٨م.
- * كتاب الشفاء في بديع الإكتفاء. تحقيق ودراسة: حسن محمد عبد الهادي. ط١. دار النايب للنشر والتوزيع. ٢٠٠٤م.

المراجع

- عطا، أحمد محمد. (١٤١٩هـ-١٩٩٩م). ديوان الموشحات المملوكية (الدولة الأولى). ط١. مكتبة الآداب.
- عبد الرحيم، راند. (٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ). فن الرثاء في الشعر العربي في العصر المملوكي الأول. ط١. دار الرازي. عمان الأردن.
- الشوابكة، محمد. وأبو سويلم، أنور. (١٤١١هـ-١٩٩١م). معجم مصطلحات العروض والقافية. ط١. دار البشير. عمان. الأردن.